سوريا : الحلقة المفقودة في الإستراتيجية الأمريكية؟

27-11-2003

كما أن واشنطن ليست في وضع يمكنها من البحث على النزاع مع سوريا على الأقل في الوقت الراهن، وستستمر في ممارسة الضغط على سوريا بطريقة غير مباشرة، خاصة في المجالات الاقتصادية والدبلوماسية. وستكمل سياسة الجزرة إستراتيجية واشنطن تجاه سوريا بالإضافة إلى العصا، بالرغم من مرور قانون محاسبة سوريا، الأمر الذي يخشى البعض من أنه قد يلغي أداة تفاوض هامة.

يرى المراقبون الأمريكان أن لسوريا دورا هاما يمكن أن تلعبه في "إنجاح" المخطط الأمريكي في العراق وكذا إستراتيجية الولايات المتحدة في المنطقة، وحسب هؤلاء، فإن تسلل المقاتلين الأجانب إلى العراق من سوريا قد ساهم في اختلال المنطقة وأعاق "المجهودات" الأمريكية لإنجاح عملية بناء عراق ما بعد الحرب وشكل مصدر قلق مستمر لواشنطن. ومع تخوف الرئيس بشار الأسد من أن تصبح سوريا الهدف الأمريكي القادم, أظهرت دمشق نوعا من الخضوع للمخاوف الأمريكية, حيث آثرت التعاون مع الأمريكيين واتخذت إجراءات صارمة ضد النشاط الإسلامي الفلسطيني على أراضيها، وأغلقت حدودها مع العراق في أبريل الماضي، وطردت فيما يبدو عددا من المسئولين البعثيين العراقيين السابقين.

بعد تكثيف المقاومة العراقية عملياتها ضد الاحتلال الأمريكي طوال أشهر الصيف, أعادت سوريا تقدير سياساتها من جديد, شعورا منها بالضعف الأمريكي. حيث أصبحت الهجمات اليومية تقريبا عاملا مشتتا للمجهود الأمريكي، وأدركت دمشق أن نجاح المقاومة في توسيع رقعتها، سيضع الولايات المتحدة في مضيق سياسي، يطوقها ويمنعها من تركيز طاقاتها على سوريا، وربما انعكس هذا التقدير السوري على قضية الحدود (بعدما تم تخفيف إجراءات العبور وحركة التنقل) التي أثارت غيظ واشنطن وأعادت فتح ملف "التورط" السوري في دعم المقاومة العراقية عبر السماح بحركة تنقل المقاتلين العرب من وإلى سوريا، وكذا تهريب السلع والتجارة السرية. وقد مارست واشنطن ضغطا كبيرا على دمشق لإغلاق حدودها مع العراق واتخاذ إجراءات صارمة على المقاتلين الإسلاميين. وأكثر من هذا، حاولت الولايات المتحدة نسج ائتلاف إقليمي لعزل سوريا, وبدعم أمريكي ضمني, قصفت الطائرات الحربية الإسرائيلية ما ادعت أنه معسكرا "إرهابيا" مشتبها فيه بالقرب من دمشق. بالإضافة إلى ذلك, انضمت تركيا إلى المعسكر الأمريكي بإعلان استعدادها لإرسال جنودها لإنقاذ الاحتلال الأمريكي. وتأمل واشنطن بعد هذا التطويق في أن تعيد سوريا النظر في استراتيجياتها وأن تستسلم للمخاوف الأمريكية. وأهمية هذه التطويرات تأتي من أن احتواء سوريا في إستراتيجية أمريكية واسعة، خطوة أساسية لفرض السيطرة على باقي دول المنطقة، وبالتحديد إيران، حيث تتطلع واشنطن إلى التعامل مع الملف السوري بالطريقة التي تجعل صداها يتردد في طهران، وتُبرز لهذه الأخيرة التكلفة العالية للتدخل. غير أن إدارة بوش قلقة من أن العجز الأمريكي في مواجهة قدرات المقاومة العراقية، سيشجع بشكل متزايد خصوم الوجود الأمريكي في العراق، وقد تبدد المقاومة التأثير النفسي الذي طبعه سقوط بغداد على أنظمة دول المنطقة.

وقد تعيد دمشق رسم إستراتيجيتها بناء على افتقار الولايات المتحدة للموارد السياسية لتحدي سوريا مباشرة، الأمر الذي يمكن أن يضاعف بشكل كبير تكلفة الاحتلال الأمريكي، وهو ما جعل واشنطن تولي اهتماما خاصا بقدرة حزب الله على شن عمليات مدمرة ضد قوات الاحتلال باعتبار أن دمشق تستخدم حزب الله (الذي يخضع إلى حد ما للسيطرة السورية) كأداة لإنجاز أهداف سياستها الخارجية، إذ إن سوريا كثيرا ما تطلق يد حزب الله عندما يوافق مصالحها ويناسب أغراضها, وتحاصره عندما تشعر بالخطر الداهم. وتدرك كل من واشنطن ودمشق أن المسائل لم تصل إلى مستوى المواجهة المفتوحة، تاركتان "المهلة الكافية" للتحركات الدبلوماسية. وفي النهاية، فإن دمشق واعية بقدرة واشنطن على إلحاق أضرار بها، وتحاول بإلحاح تجنب المواجهة المباشرة مع الولايات المتحدة. كما أن واشنطن ليست في وضع يمكنها من البحث على النزاع مع سوريا على الأقل في الوقت الراهن، وستستمر في ممارسة الضغط على سوريا بطريقة غير مباشرة، خاصة في المجالات الاقتصادية والدبلوماسية. وستكمل سياسة الجزرة إستراتيجية واشنطن تجاه سوريا بالإضافة إلى العصا، بالرغم من مرور قانون محاسبة سوريا، الأمر الذي يخشى البعض من أنه قد يلغي أداة تفاوض هامة.